نظرية المعرفة
عند اخوان الصفا

م. د. موفق عليوي خضير
معهد الفنون الجميلة / الرصافة الاولى

المقدمة :

ثمت مجموعة اسئلة تثير حركة فكرية عند الفلاسفة القدماء والمحدثين على سواء ، تلك هي : كيف نشات المعرفة عند الانسان ؟ وكيف تكونت حياته العقلية بكل ما تزخر به من افكار ومفاهيم ؟ وما هو المصدر الذي يمد الانسان بهذا السيل من الفكر والادراك ؟

وتبرز اهمية مثل هذه البحوث لانها تؤسس للرؤى الكونية التي يملكها الانسان عن الوجود بمفرداته الاساسية ، الله والعالم والانسان ، والتي تنبثق منها الايدلوجيات المتعددة التي تزخر بها الحياة الانسانية [1] .

لذا اهتم الفلاسفة الغربيون بنظرية المعرفة اهتماماً بالغا منذ ثلاثة قرون [2] ويطلقون لفظة ابستمولوجيا (Epistemology) المرادف لـ (مبحث المعرفة)[3] اذ الابستمولوجيا لفظ مركب من لفظين احدهما ابيستما (Episteme) وهو العلم والاخر لوغوس (Logos) وهو النظرية [4] .

الغاية المطلوبة من هذا العلم هي الوقوف على حقيقة المعرفة وادواتها وحدودها[5] ، ومن الذين ادلوا بدلوهم في هذا المجال اخوان الصفا وان لم يطرحوا نظريتهم في المعرفة انذاك بصورة مستقلة انما طرحوا مسائلها متفرقة ومبثوثة في رسائلهم . ولكونهم اعتمدوا على مصادر ومراجع مهمة انذاك في موضوع نظرية المعرفة فضلا عن اجتهادهم واستنتاجاتهم ولاهمية ملاحظاتهم عزمت على دراسة نظرية المعرفة عند اخوان الصفا [6] ، وهو غزير المطلب وصعب المركب ولا مظفور به ولا سهل مراده لذا توخيت دراسته في ضوء ابرز النظريات الحديثة بغية رفد المكتبة الفلسفية بما هو مجدٍ ومفيد .

وقد استقام البحث بمبحثين الاول التصور عند اخوان الصفا وكان فيه عدة مطالب منها العلم والمعرفة ، المصادر الاساسية للمعرفة ، مصادر التصور عند اخوان الصفا عناصر الصورة ، نظرية الانتزاع عند اخوان الصفا .

اما المبحث الثاني فقد وسم ب (العقل عند اخوان الصفا وقد تضمن عدة مطالب منها النظريات الحديثة ، العقل عند اخوان الصفا ، وظائف العقل ، حاجة النفس الى العقل ، قيمة المعرفة)

التصور عند اخوان الصفا

المطلب الاول

العلم والمعرفة : قد فرق القدماء بين المعرفة والعلم فقالوا ان المعرفة ادراك الجزئي [7] والعلم ادراك الكلي .

وان المعرفة تستعمل في التصورات والعلم في التصديقات [8] وورد ان المعرفة، راي غير زائل [9] ، وقيل المعرفة ادراك الاشياء وتصورها [10] .

وهو عند المحدثين يطلق على أربعة معان منها :

1- الفعل العقلي الذي يتم به حصول صورة الشيء في الذهن .
2- مضمون المعرفة بالمعنى الأول .
3- الفعل العقلي الذي يتم به النفوذ الى جوهر الموضوع .
4- مضمون المعرفة بالمعنى الثالث [11] .

ولاجل المزايلة بين العلم والمعرفة، قيل: العلم مرادف للمعرفة Connaissance الا انه يتميز عنها بكونه مجموعة معارف متصفة بالوحدة والتعميم [12] . وزبدة المخاض ان مصطلح knowledge يراد به مجموعة المعاني والمعتقدات والاحكام والمفاهيم والتصورات الفكرية التي تتكون لدى الانسان نتيجة لمحاولات متكررة لفهم الظواهر والاشياء المحيطة به [13] وذلك بالاعتماد على ما يصطلح عليه cognition العملية التي يدرك بمقتضاها الفرد ويفسر ما يحيط به ، ويتضمن الادراك جميع العمليات التي يحصل بمقتضاها الفرد على المعرفة بما في ذلك التفكير والتذكر والتخيل والتعميم والحكم [14] .

اما العلم : فهو الاعتقاد الجازم المطابق للواقع ، وقال الحكماء: هو حصول صورة الشيء في العقل والاول اخص من الثاني ، وقيل: العلم هو ادراك الشيء على ما هو به وقيل زوال الخفاء من المعلوم [15] ، المهم ان العلم مرتبط بصورة المعلوم لذا قيل «ان الصورة انما تسمى علما اذا حصلت في العقل » [16] وهو على وجهين حصولي ويتحقق بعد انتقاش صورة الشيء في الذهن ، والحضوري ويتحقق بحضور الاشياء انفسها عند العالم كعلمنا بذواتنا [17] .

تعريف العلم : العلم عبارة عن حضور المعلوم لدى العالم اما حضورا بالمباشرة او بغيرها [18] ، ويقصد بغيرها العلم الحصولي ، المعلوم بالعرض ، حاضر لدى النفس بتوسط صورته العلمية [19] .

اما حد العلم لدى اخوان الصفا فيتضح من قولهم « واعلم ان العلم ليس بشيء سوى صورة المعلوم في نفس العالم »[20] . وقالوا « العلم لا يكون الا في النفس ولا يدرك الا بالعقل »[21] ولك ان تعرف كم هم مقتربون من المحدثين الذين قالوا : « العلم هو الادراك مطلقا تصورا كان او تصديقا »[22] او مطلق ويراد به « حصول صورة الشيء في الذهن »[23] او هو « ادراك الكلي مفهوما او كان حكما »[24] كذلك يطلق ويراد به «الاعتقاد الجازم المطابق للواقع »[25] .

وكان القدماء قد « فرقوا بين المعرفة والعلم فقالوا ان المعرفة ادراك الجزئي ، والعلم ادراك الكلي ، وان المعرفة تستعمل في التصورات والعلم في التصديقات »[26] . وفي رسائل اخوان الصفا تطلق المعرفة مرادفة للعلم [27] غير انهم خصوا الفطرة بقولهم : المعرفة الغريزية [28] . اما المزايلة بين العلم والمعرفة عند المحدثين فحاصلة اذ العلم مرادف للمعرفة connaissance الا انه يتميز عنها بكونه مجموعة معارف متصفة بالوحدة والتعميم [29] .

المطلب الثاني

المصادر الاساسية للمعرفة عند اخوان الصفا

الادراك :

الادراك لغة : هو اللحاق والوصول[30] . وعند الفلاسفة لها معان عديدة ، اذ قال ابن سينا «ادراك الشيء ، هو ان تكون حقيقته متمثلة عند المدرك »[31] اما عند الجرجاني فهي ترادف الاحاطة[32] ، والاحساس[33] والتصور[34] والعلم [35] والمعرفة [36] . المهم ان الادراك مرتبط بالاحساس لذا قيل الاحساس : ادراك الشيء باحدى الحواس فان كان الاحساس للحس الظاهر فهو المشاهدة ، وان كان للحس الباطن فهو الوجدانيات.

كذلك مرتبط بالتعقل اذ التعقل : هو ادراك المجرد عنها كليا او جزئيا [37] وله اربعة اصناف هي ادراك الحس وادراك التخيل وادراك الذهن وادراك العقل[38] .

الادراك عند اخوان الصفا : لم نعثر على تعريف للادراك عند اخوان الصفا سوى انهم يجعلونه مرادفا للاحساس [39] والمعرفة والعلم وقد قسموا الادراك الى صنفين منها ما هو ادراك جسماني والاخر ادراك روحاني والادراك الجسماني معروف اما الادراك الروحاني فمن امثلته القوة الباصرة [40] .

ومن مظاهر الادراك ما تميزت به النفس الانسانية اذ ذكر اخوان الصفا ان النفس « جوهرة سماوية روحانية حية نورانية خفيفة متحركة غير فاسدة علامة دراكة لصور الاشياء وان مثلها في ادراكها صور الموجودات من المحسوسات والمعقولات كمثل المرآة »[41] .

وتبعا لذلك «فان المرآة اذا كانت مستوية الشكل مجلوة الوجه تتراءى فيها صور الاشياء الجسمانية على حقيقتها»[42] والعكس يحصل بسبب سوء الاعمال وقبح الافعال[43] .

وينقسم الادراك بدوره الى تصور وتصديق

فالتصور : حصول صورة الشيء في العقل [44] وتصور الشيء تخيله ، وعند علماء النفس : هو حصول صورة الشيء في العقل [45] وعند المناطقة هو ادراك الماهية من غير ان يحكم عليها بنفي او اثبات [46] ، وقيل : تصورت الشيء اذا تعمدت تصويره في نفسك وتمثله وتخيله [47] .

اما التصديق فهو ادراك النسبة بين الطرفين [48] .

التصور عند اخوان الصفا : التصور عند اخوان الصفا مرادف للتخيل (قوة التخيل وجودة التصور)

التصور ومصدره الأساسي :

1- نظرية الاستذكار الافلاطونية : ترتكز هذه النظرية على قضيتين فلسفيتين احداهما ، ان النفس موجودة قبل وجود البدن في عالم أسمى من المادة ، الاخرى ان الادراك العقلي عبارة عن ادراك الحقائق المجردة الثابتة في ذلك العالم الاسمى والتي يصطلح عليها افلاطون بكلمة «المثل »[49] .

موقف اخوان الصفا من نظرية افلاطون ، يتضح من قولهم « ان كثيرا من العقلاء يظنون ان الاشياء التي تعلم باوائل العقول مركوزة فنسبتها لما تعلقت بالجسم فهي تحتاج الى التذكار ، ويسمون العلم تذكراً ويحتجون بقول افلاطون : العلم تذكر . وليس الامر كما ظنوا [50] وقد عللوا نظرية افلاطون بقولهم : انما اراد افلاطون بقوله العلم تذكر ان النفس علاّمة بالقوة ، فتحتاج الى التعلم حتى تصير علاّمة بالفعل فسمى العلم تذكرا »[51] ، وقد استدلوا على ذلك بقولهم : « والدليل على صحة ما قلنا آن كل ما لا تدركه الحواس بوجه من الوجوه لا تتخيله الاوهام وما لا تتخيله الاوهام لا تتصوره العقول ، واذا لم يكن شيء معقول فلا يمكن البرهان عليه ، لان البرهان لا يكون الا من نتائج مقدمات ضرورية ماخوذة من اوائل العقول ، والاشياء التي هي في اوائل العقول انما هي كليات انواع

واجناس ملتقطة من اشخاص جزئية بطريق الحواس »[52] والدليل الاخر الذي اوردوه قولهم : « والدليل على ذلك الصبي لولا انه قدر ان عشر جوزات اكثر من خمس او خشبة طولها عشرة اذرع اطول من اخرى لها ستة اذرع فمن اين كان يمكنه ان يعلم ان الكل اكثر من الجزء »[53] .

طرائق التصور عند اخوان الصفا : اشار اخوان الصفا الى طرائق ثلاثة للتصور اذ قالوا : « اعلم يا اخي بان النفس انما تنال صور المعلومات من طرقات ثلاث ، احدها طريق الحواس ، والاخرى طريق البرهان ، والاخيرة طريق الفكر والروية » [54] ، والعدم «هو ما يقابل كل نوع من هذه الطرق الثلاث فيقال : معدوم من درك الحس له ، ومعدوم من تصور العقل ، ومعدوم من اقامة البرهان عليه »[55] ، وقد عرفوا العلوم بقولهم : «ما العلوم ؟ العلوم هي صور المعلومات في نفس العالم »[56] وقد بينوا ان التعليم يهدف الى تحويل صور المعلوم من القوة الى الفعل اذ قالوا : «اعلم يا اخي بان العلم لا يكون الا بعد التعليم ، والتعلم والتعليم هو تنبيه النفس العلامة بالفعل للنفس العلامة بالقوة ، والتعلم هو تصور النفس لصور المعلوم »[57] ، وقالوا : « كل متعلم علما فان صورة المعلوم في نفسه بالقوة ، فان تعلمها صارت فيها بالفعل »[58] ، اذا التعليم برايهم : «ليس شيئا سوى الطريق من القوة الى الفعل ، والتعليم ليس شيئا سوى الدلالة على الطريق »[59] وبهذا فسروا نظرية الاستذكار عن افلاطون وفق ما تقدم كما سيتضح لاحقا .

عناصر الصورة : ميز اخوان الصفا في الصور المدركة ما يقومها ، وما يتمها ، ويقصدون بالاولى هويات الاشياء وبالثانية ماهياتها اذ قالوا : « معرفة الصور المقومة التي هي ذوات اعيان موجودة ، والفرق بينهما وبين الصور المتممة لها ، التي هي كلها صفات لها ، ونعوت واحوال ترادفت عليهما ، وهي موصوفة بها ، ولكن الحواس لا تميزها لانها مغمورة تحت هذه الاوصاف مغطاة بها »[60] ، وقد اوضحوا المراد من قولهم اعلاه اذ قالوا : « الذي في (الاوائل) شيئان اثنان ، هويات الاشياء ، وماهياتها ، وذلك ان هويات الاشياء تحصل في النفوس بطريق الحواس، وماهياتها بطريق الفكر والروية والتمييز » [61] .

والنفس لا تكون عاقلة عندهم الا اذا حصلت هويات المحسوسات في النفس بطريق الحواس وماهياتها بطريق الفكر والروية والتمييز ، سميت النفوس عند ذلك عاقلة[62] ولهذا قالوا لمن اراد ان يعرف العقل « اذا تاملت واردت يا اخي ان تعرف ما العقل الانساني ، فليس هو شيئا سوى النفس الانسانية التي صارت علاّمة بالفعل بعد ما

كانت علاّمة بالقوة وانما صارت علامة بالفعل بعد ما حصل فيهما صور هوية الاشياء بطريق الحواس ، وصور ماهياتها بطريق الفكر والروية »[63] .

ومن خلال دراسة بعض افكار ايمانويل كانط في كتابه (نقد العقل المجرد) وجدت من المفيد ان اشير الى ان هنالك نوعاً من التوافق بين ما ذهب اليه اخوان الصفا وما اشار اليه كانط وهو موضوع يستحق البحث.

نظرية الانتزاع عند اخوان الصفا : تتضح هذه النظرية من قولهم : « اعلم ان من شرف جوهر النفس وعجائب قواها وظرائف معارفها ، انها تنتزع صورة المحسوسات من هيولاها وتصورها في ذاتها فتنظر اليها خلوا من الهيولي وتفرق بين الهيولى والصورة »[64] وسبق ان عرضت تطبيقا لذلك في رسالة (الحاس والمحسوس) اذ فصلت القول في بيان مراحل ادراك الحواس محسوساتها وكيف تؤديها الى القوة الناطقة العاقلة التي هي ذات الانسان المدبرة للكل الباقية بالذات[65]، اذ تنتزع جميع المعاني والصور ثم تصور تلك المعاني والصور المنتزعة من مصوراتها المرتسمة فيهما[66] .

وما كان لهم ان يصلوا الى هذه النظرية إلا لإنهم نظروا الى الموجودات فوجدوها ، صنفين : حسية ، وعقلية ، اذ قالوا : «مذهبنا يستغرق المذاهب كلها ويجمع العلوم جميعها وذلك انه هو النظر في جميع الموجودات باسرها الحسية والعقلية »[67] كذلك قالوا في رسالة العقل والمعقول : «نبني ان المعقولات ايضا كلها صور روحانية تراها النفس في ذاتها ، وتعاينها في جوهرها بعد مشاهدتها لها في الهيولي بطريق الحواس »[68] .

ومن خلال ملاحظة نظرية الانتزاع عند ابن رشد الذي يرى هو ايضا ان للصورة المدركة وجودين : وجود محسوس اذا كانت في الهيولي ، ووجود معقول اذا تجردت من الهيولي ، فالحس يدرك الاجسام المركبة من الصورة والمادة ، أي الصورة في الهيولي ، بينما تدرك النفس صورة الموجودات اذا تجردت من الهيولي .

من هذا التطابق في مفهوم نظرية الانتزاع بين اخوان الصفا وابن رشد نحكم بان ابن رشد لعله قد اخذ هذه النظرية من اخوان الصفا [69] .

وهم بدورهم اخذوها من الفارابي وهي ذاتها التي اعتمدها محمد باقر الصدر في كتابه الموسوم بـ (فلسفتنا) [70] .

المبحث الثاني

العقل عند اخوان الصفا :

انقسم المحدثون الى فريقين بشان اساس المعرفة فمنهم من يرى «ان المعرفة البشرية ذات اساس عقلي وفيها جانب قبلي يتوصل اليه الانسان بصورة مستقلة عن الخبرة الحسية والتجربة وهذا ما ذهب اليه العقليون »[71] .

والقسم الاخر : آمن بان التجربة هي الاساس العام الوحيد الذي يمول الانسان بكل الوان المعرفة وهؤلاء هم التجريبيون الذين يرون بان بدايات المعرفة البشرية كلها جزئية ، لان الخبرة الحسية هي التي تشكل بداية المعرفة [72] .

وبهذا تميز اخوان الصفا كونهم لم يكونوا مع العقليين ولا مع التجريبيين انما اوحوا بان الانسان علاّم بالقوة فان تم التعليم تصير علاّمة بالفعل وهو ما يدعمه الواقع

النظريات الحديثة :

1- النظرية العقلية : وهي لعدد من كبار فلاسفة اوربا كـ(ديكارت) [73] و(كانط)[74] وغيرهما وتتلخص هذه النظرية في الاعتقاد بوجود منبعين للتصورات : احدهما الاحساس ، فنحن نتصور الحرارة والنور والطعم والصوت لاجل احاسسنا بذلك كله[75]. والاخر الفطرة ، اذ النفس تستنبط من ذاتها وهذه التصورات الفطرية عند (ديكارت) هي فكرة (الله والنفس والامتداد والحركة) .

وقد عد العقليون الافكار الفطرية رديفا للحس وذلك لانهم لم يجدوا لطائفة من المعاني والتصورات مبررا لانبثاقها عن الحس لانها معان غير محسوسة ، فيجب ان تكون مستنبطة للنفس استنباطا ذاتيا من صميمها [76] .

وهذا التصور غير مطابق للواقع اذ المسلمون يرون ومنهم اخوان الصفا ان الله سبحانه وتعالى صرح في القران « والله الذي أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون »[77] .

وعلى هذا يرى اخوان الصفا ان العقل الغريزي موجود في النفس بالقوة وتكتسب صفة الفعلية بالحس والتعليم [78] .

العقل عند اخوان الصفا :

العقل عند اخوان الصفا روحاني الوجود او انه من مظاهر الروح «وهو جوهر بسيط مدرك حقائق الاشياء »[79] .

وهو مظهر من مظاهر النفس الانسانية حين تكون علامة بالفعل اذ قالوا : «اذا تاملت واردت يا اخي ان تعرف ما العقل الانساني فليس هو شيئا سوى

النفس الانسانية التي صارت علامة بالفعل بعد ما كانت علامة بالقوة وانما صارت علامة بالفعل بعد ما حصل فيها صور هوية الاشياء بطريق الحواس ، وصور ماهياتها بطريق الفكر والرؤية »[80] .

والعقل عند اخوان الصفا نوعان اذ قالوا : « ان عقل الانسان نوعان غريزي ومكتسب ، فاما الغريزي فيحصل للانسان بعد تامله للمحسوسات »[81].

وتتباين العقول تبعا للرياضات العقلية اذ قالوا : «كل من كان اكثر تاملا واكثر رياضات للمعقولات الغريزية الماخوذة او اقلها من الحسوسات واصفى نفسا كان اعقل»[82] ويأخذ العقل معلوماته من الحس ، فمن كان اكثر محسوسات ، ولها اكثر تاملا وللمتخيلات اجود اعتبارا فان الاشياء المعقولة عنده اكثر عددا [83] .

وظائف العقل: ذكر اخوان الصفا للعقل وظائف بعد ان وصفوها بانها قوة من قوى النفس الانسانية التي «فعلها التفكير ، والرؤية ، والنطق ، والتمييز ، والصنائع وما شاكلها »[84] ولعل التمييز اهم وظيفة تزايل الانسان عن الحيوان اذ قالوا : « التمييز الذي يخص كل واحد من اشخاص الانسان دون سائر الحيوانات »[85].

ومظاهر التمييز تظهر من قبلهم عن العقل «ليس هو شيئا سوى النفس الناطقة ، اذا تصورت رسوم المحسوسات في ذاتها ، ميزت بفكرها بين اجناسها وانواعها واشخاصها ، وعرفت جواهرها واعراضها ، وجربت امور الدنيا واعتبرت تصاريف الايام بين اهلها »[86] . وهي تتكئ في ذلك على قوى المتخيلة والمفكرة ، والحافظة ، ولما كان العقل ياخذ معلوماته من الحس فان «ما لا تدركه الحواس بوجه من الوجوه لا تتخيله الاوهام ، وما لا تتخيله الاوهام لا تتصوره العقول »[87] .

ومن وظائفه :

1- وجـــدان الاشـــياء : ذكـر اخـوان الصـفا مـن واجبـات العقـل وجـدان الاشـياء اذ قالوا : «ان كل واجد من البشر شيئا – فان وجدانه لا يخلو من احدى الطرق الثلاث اما باحدى القوى الحساسة ، واما باحدى القوى العقلية التي هي الفكرة والروية ، والتمييز ، والفهم ، والوهم الصادق في الذهن الصافي ، واما بطريق البرهان الضروري »[88].

2- معرفة حقائق الاشياء : «واعلم انه ينبغي لمن ينظر في حقائق الاشياء ويبحث عن ما هيتها ان يبتدئ اولا ينظر ويبحث هل الشيء جوهر ، او عرض ، او هيولي ، او صورة جسمانية او روحانية ، فان كان جوهرا فاي جوهر هو ؟ وان كان عرضا فاي عرض هو ، وان كان هيولي فاي هيولي هو ؟ وان كان صورة فاي صورة هي وكيف هي »[89]

«ان معرفة حقيقة الاشياء هي معرفة حدودها ورسومها وذلك ان الاشياء كلها نوعان : مركبات وبسائط ، فاما المركبات فتعرف حقائقها اذا عرفت التي هي مركبة منها ، والبسائط تعرف حقائقها اذا عرفت الصفات التي تخصها »[90] .

3- الاستنتاج : كل قضيتين اذا قرنتا ووجب عنهما حكم اخر سميت القضيتان مقدمين، وسمي ذلك الحكم نتيجتهما مثال ذلك اذا قيل كل انسان حيوان ، وكل حيوان نام ، فينتج من هاتين ان كل انسان نام [91] .

مجمل وظائف العقل :

«فاما بالفكر فاستخراج الغوامض من العلوم، وبالروية تدبير الملك وسياسة الامور، وبالتصور درك حقائق الاشياء، وبالاعتبار معرفة الامور الماضية من الزمان، وبالتركيب استخراج الصنائع اجمع، وبالتحليل معرفة الجواهر البسيطة والمبادئ، وبالجمع معرفة الانواع والاجناس، وبالقياس درك الامور الغائبة بالزمان والمكان، وبالفراسة معرفة ما في الطبائع من الامور الخفية ... »[92] .

وشبه اخوان الصفا الانسان بمدينة او عالم صغير فيه جميع ما في المدينة من مرافق ومؤسسات واعمال ، والمدينة بحاجة الى رئيس لئلا يختل النظام ويدب الخلاف، ويكون هو المرجع والحاكم ، فكذلك العقل والقوة المفكرة بالنسبة للانسان ، فهو رئيس جميع القوى الموجودة فيه [93] .

حاجة النفس إلى العقل :

في هذا الشأن قالوا : «النفس لا تنظر ذاتها الا بنور العقل ولا تعرف حقائق الموجودات الا بالنظر الى العقل »[94] اما المحدثون فيقولون : «بان العقل اعطي لنا من اجل غاية معينة ، وان هذه الغاية ليست السعادة في حد ذاتها بل يتعين ان تكون الغاية اعلى واسمى منها ، ويسمي (كانط) هذه الغاية بالقدرة على احداث ارادة خيرة بذاتها»[95] وهذا يمثل الجانب الاخلاقي من وظائف العقل .

النظرية الحسية : وهي قائمة على مبدا تحليل الادراك تحليلا يرجعه برمته الى الحس ويسير فهم كيفية تولد التصورات كافة عنه ، وهذا الطريق هو الذي اتخذه (جون لوك) للرد على (ديكارت) ونحوه من العقليين ، وسار عليه رجال المبدا الحسي مثل (باركلي) و (دافيد هيوم) بعد ذلك [96] . وليس للذهن بناء على هذه النظرية الا التصرف في صور المعاني المحسوسة ، وذلك بالتركيب والتجزئة ... او بالتجربة والتعليم [97] .

«فالخطوط الاولى في عملية اكتساب المعرفة هي الاتصال الأولي بالمحيط الخارجي مرحلة الاحاسيس ... »[98] ، الخطوة الثانية هي جمع المعلومات التي نحصل

عليها من الادراكات الحسية وتنسيقها وترتيبها [99] ، وتركز النظرية الحسية على التجربة ، يعني ذلك تجريد الذهن عن الفعالية وابتكار تصورات جديدة [100] لذا كان (دافيد هيوم) ينكر مبدا العلية وارجعها حينها الى عادة تداعي المعاني قائلا : اني ارى كرة البليارد تتحرك فتصادف كرة اخرى فتتحرك هذه ، وليس في حركة الاولى ما يظهرني على ضرورة تحرك الثانية ، والحس الباطني يدلني على ان حركة الاعضاء في تعقب امر الارادة ولكني لا ادرك ادراكا مباشرا علاقة ضرورية بين الحركة والامر [101] .

واخوان الصفا هم ايضا يعدون الاحساس مبدا مهما من مبادئ المعرفة غير انهم يعدون ذلك مرحلة من مراحلها اذ يرون ان المعرفة لها ثلاثة سبل الاحساس والعقل والبرهان [102] .

ويتكون الانسان في راي اخوان الصفا ، من نفس وجسد [103] ، وغايته ان يرتقي الى عالم الافلاك ، والمعرفة ليست الا طريقة ووسيلة لهذا الارتقاء [104]

وهم يقولون بنوعين من المعرفة ، معرفة كسبية ومعرفة لدنية (عيانية)[105] ، والمعرفة الكسبية تمر بمراحل ثلاث هي : الحواس ، والعقل ، والبرهان [106].

1- المعرفة الحسية :

وهي ادنى انواع المعارف [107] ، ويشترك فيها الحيوان مع الانسان والحواس هي الات جسدية ، وهي خمس : العين ، الاذن ، واللسان ، والنفس ، واليد [108] . وكل معرفة حسية ففيها ، حاس ، ومحسوس ، وحس، واحساس، وقوة حساسة[109].

الحاسة : هي العضو المنوط به نوع خاص من الادراك .

المحسوسات : هي الاشياء المدركة بالحس ، والمدركة بالحواس هي اعراض حالة في الاجسام الطبيعية ، مؤثرة في الحواس ، متغيرة لكيفية مزاجها .

الحس : هو تغير مزاج الحواس عن مباشرة المحسوس لها [110] .

الاحساس : هو شعور القوى الحساسة لتغيرات كيفية امزجة الحواس .

القوة الحساسة : هي قوة روحانية ، نفسانية ، يختص كل منها بعضو من اعضاء الجسد[111] .

فالحواس لا تدرك الشيء من حيث هي بالذات ، بل من حيث هي ادوات للنفس ، فالنفس هي التي ترى بالعين وتسمع بالاذن [112] .

ويرى اخوان الصفا ان الانسان «مجبور على استعمال الحواس بلا فكر ولا روية»[113].

وهم يتفقون مع الرواقيين القائلين بوجود الوسط بين الحاس والمحسوس ويختلفون مع افلاطون الذي ينفي وجود الوسط المادي بين اداة الحس والشيء المحس[114] .

وهم يقرون بان كل حاسة من الحواس لها مدركات بالذات ومدركات بالعرض وهي لا تخطئ في الاولى وانما تخطئ في الثانية [115] .

ويرى اخوان الصفا ان دخول الخطا على المتاملين في حقائق الاشياء المحسوسة ناجم عن حكمهم على حقيقتها بحاسة واحدة ، نحو السراب الذي يعزى سببه الى الخطا من حاسة البصر والحال ان المطلوب اعتماد الذوق لمعرفته على وجه الحقيقة [116] .

وقد رفع اخوان الصفا من شان المعرفة الحسية واختلفوا بذلك مع افلاطون الذي كان يصفها بالمخادعة والحق ان ظروفا تتدخل في عملية الاحساس ، ثم تتهم الحواس بالغش والخداع [117] .

ويبدو انهم متاثرون بارسطو الذي يرى ان التصورات لا يحكم عليها بالصدق او الكذب ، وانما الربط بينها هو الذي يجعلها قابلة لان يحكم عليها بالصدق او الكذب[118] اذ يربط احيانا بين مدلولات حسية مختلفة ليس بينها ارتباط في الواقع ، والرواقيون ايدوا ارسطو في ذلك [119] .

والحق ان الحس مثل العقل ، وان الادراكات العقلية تنتهي في النهاية الى الحس[120] وهذا ما اشار اليه صدر المتالهين اذ قال : «فان الحواس المختلفة الالات كالجواسيس المختلفة الاخبار عن النواحي ، تعد النفس للاطلاع على تلك الصور العقلية المجردة ، والاحساسات انما تكثر بسبب اختلاف حركات البدن لجلب المنافع والخيرات ودفع الشرور والمضار ، فبذلك ينتفع الحس بالحس ، ثم يعدها ذلك لحصول تلك التصورات والتصديقات الاولية ، ثم يمتزج بعضها ببعض ، ويتحصل من هناك تصورات وتصديقات مكتسبة لا نهاية لها »[121] .

اذ قال : «تبدا كل معرفتنا مع التجربة ولا ريب في ذلك البتة ، لان قدرتنا المعرفية لن تستيقظ الى العمل اذا لم يتم ذلك من خلال موضوعات تصدم حواسنا ، فتسبب من جهة حدوث التصورات تلقائيا ، وتحرك من جهة اخرى نشاط الفهم عندنا الى مقارنتها وربطها او فصلها »[122] .

اذا «المعرفة عند كانط تنتقل من ميدان الاحساسات والمدركات الحسية الفسيح الواسع الى غرفة الفكر الضيقة »[123] وفي معرض حديثه عن نسبية المعرفة قال: «اننا لا نستطيع ان نعرف الاشياء ذاتها، وانما نعرف فقط الظاهر »[124]، وذهب كانط الى القول ان مصدرين اساسيين للمعرفة هما الحساسية ، والفاهمة.

الحساسية : (القدرة على تلقي التصورات بالطريقة التي تتاثر بالموضوعات) .

الفاهمة : (هي التي تفكر في هذه المواضيع ومنها تتولد الافاهيم) .

وما قدمته القصد منه التامل لغرض بيان رجاحة ما ذهب اليه اخوان الصفا[125] اذ انكر كانط اوائل المعلومات او اوائل العقول التي مصدرها العقل الغريزي وابدع مصطلح الفاهمة .

اذا كان جون لوك قد عد (الحدس) مصدرا من مصادر المعرفة فقد ادرك اخوان الصفا ذلك من قبل وقد استعملوا ما يرادف الحدس وهو الظن والتوهم والتخمين اذ قالوا : «واعلم يا اخي بان الانسان مطبوع على استعمال القياس منذ الصبا كما هو مجبور على استعمال الحواس وذلك ان الطفل اذا ترعرع واستوى واخذ يتامل المحسوسات ونظر الى والديه وعرفهما حسا وميز بينهما وبين نفسه ، اخذ عند ذلك باستعمال الظنون والتوهم والتخمين فاذا راى صبيا مثله وتامله علم عند ذلك ان له والدين وان لم يرهما حسا »[126] .

وهم التفتوا الى اهمية التجربة إذ قالوا عن الفتى : «اذا بلغ وعقل وتفحص الامور المحسوسة واعتبر احوال الاشخاص الموجودة عرف عند ذلك حقائق ما كان يظن ويتوهم في أيام الصبا واستبان له شيء بعد شيء صوابا كان ظنه او خطا»[127].

بعدئذ لا نريد ان نلوي عنق الحقيقة للقول بان نظرية جون لوك حاضرة في رسائل اخوان الصفا سوى القول بان ابرز مبادئ النظرية واردة عند اخوان الصفا كالقول بالحدس والبرهان والحس والتجربة كما اشرنا [128] .

قيمة المعرفة

التصديق ومصدره الاساسي : الادراك التصديقي وهو الذي ينطوي على الحكم ويحصل به الانسان على معرفة موضوعية [129] نحو :

القيل : محيط الدائرة اكبر من قطرها البرودة سبب للتجمد ، الحرارة تولد الغليان، الواحد نصف الاثنين، الكل اعظم من الجزء وهي القضايا الكلية والعامة ، والمشكلة التي تواجهنا هي مشكلة اصل المعرفة التصديقية والركائز الاساسية التي يقوم عليها صرح العلم الانساني .

وفي هذه المسألة عدة مذاهب منها المذهب العقلي والمذهب التجريبي المذهب العقلي : تنقسم المعارف البشرية في راي العقليين واخوان الصفا الى طائفتين

أ. معارف ضرورية او بديهية ونقصد بالضرورة هنا ان النفس تضطر الى الاذعان بقضية معينة من دون ان تطالب بدليل او تبرهن على صحتها ، بل تجد من طبيعتها ضرورة الايمان بها نحو الكل اكثر من جزء وهذا ماصطلح عليه اخوان الصفا بـ (اوائل العقول) وهما هل هو وماهو ؟ اذ لابد ان يؤخذ شيٌ معلوم مما هو في اوائل العقول ثم يقاس عليه سائر مايطلب بالبرهان [130] .

مراتب علوم الإنسان : مايسترعي الاهتمام عند اخوان الصفا هو تصنيفهم علوم الانسان الى مراتب اذ قالوا : « ان العلم بالاشياء بعضه طبيعي غريزي مثل مايدرك بالحواس ، ومثل مافي اوائل العقول »[131] .

وقد جعلوا أوائل العقول مراتب متعددة اذ قالوا : « اعلم ان الاشياء التي تعلم باوائل العقول بعضها ظاهر جلي لكل العقلاء نحو قولهم الكل اكثر من الجزء »[132] .

وبعضها غامض خفي يحتاج الى تامل قليل نحو ان الاشياء المختلفة اذا زيدت عليها اشياء متساوية كانت كلها في جميع اوائل العقول السليمة مختلفة [133] .

وبعضها يحتاج الى تدقيق النظر وتامل شديد نحو قولهم اذا كانت اربعة مقادير على نسبه واحده فان في الاول من اضعفاف الثاني ، مثل مافي الثالث من أضعاف الرابع [134] .

واضافوا « ان البرهان لايكون الا من نتائج مقدمات ضرورية ماخوذة من اوائل العقول » [135] .

وأشاروا الى ان «الأشياء التي هي في اوائل العقول انما هي كليات انواع واجناس ملتقطة من أشخاص جزئية بطريق الحواس »[136] .

وكانت طريقة بيانهم للتمييز بين معارف الانسان في المنطق واضحه اذ قالوا في معرض حديثهم عن صناعة المنطق : «فإن فيها اشياء كانها في اوائل عقولهم ظاهرة بينة وهو قولهم الضدان لايجتمعان في شيءٍ واحد في زمان واحد فان هذه الحكومة بينه ظاهرة » [137] . ثم قالوا : «واما التي هي ادق من هذا ويحتاج فيها الى البرهان فهي مثل قولهم : كون كل شيءٍ فسادا لشي اخر »[138] .

ومن تطبيقات اوائل العقول : في معرض حديثهم عن العلة والمعلول بعد ان ربطوا بين الفطرة واوئل العقول قولهم : « كفى بهذا دليلا وبياناً وحجة للعقول الغريزية على ان العالم مصنوع والمصنوع يقتضي الصانع وهذه قضية موجبة في اوائل العقول بّينة ظاهرة لاتخفى على كل عاقل »[139] .

ومن ابرز مظاهر اوائل العقول :

اولاُ. مبدأ عدم التناقض : يعد هذا المبدا من المبادئ الرئيسة التي تعتمد في منهج الباحثين عن اليقين وقد حرص اخوان الصفا للتذكير بذلك اذ قالوا : «اعلم ياخي بان اهل كل صناعة يحرصون على حفظ انفسهم من الخطا والزلل في صناعتهم وذلك ان اهل كل علم يتجنبون الخطا ويتحرون الصواب والحق ويجتهدون في ذلك »[140] ثم قالوا: «فينبغي لمن يتعاطى منهم المنطق الفلسفي ان يحفظ اقاويله من

التناقض من اولها الى اخرها .. قل من يحفظ كل اقاويله من اوائلها الى اواخرها حتى لا يناقض بعضها بعضا»[141] .

يتحرون بذلك حكم العقل اذ قالوا: «لاينبغي ان ينزل بالحكم على قول القائلين ولكن على حكم العقول »[142] .

والتناقض مبدأ ينكره العقل السليم كقولين زيد قائم قاعد في حال واحدة ، لان العقل لايمكنه ان يعلم ذلك [143] .

ثانياً. مبدأ العلية : اوضح اخوان الصفا مبدا العلية وأشاروا الى اربعة انواع من العلل اذ قالوا: « واعلم ياخي بان لكل معلول صناعي اربع علل ، احداها ؛علة هيولانية، والثانية علة صورية والثالثة علة فاعلية والرابعه عله تمامية »[144] ، وقد ضربوا لك الامثال اذ قالوا : «مثال ذلك الكرسي والباب والسرير ، فان العلة الهيولانبة فيها الخشب ، والعلة الصورية الشكل والتربيع ، والعلة الفاعلية النجار ، والعله التمامية للكرسي القعود عليه وللسرير النوم عليه ، وللباب ليغلق على الدار »[145] .

ثم قالوا: «وعلى هذا القياس كل معلول لابد له من هذه الاربع العلل »[146] .

مصدر اوائل العقول : يرى المذهب العقلي «ان الحجر الاساس للعلم هو المعلومات العقلية الاولية »[147] والتي يرون انها مركوزة في النفس الانسانية في حين يرى المذهب التجريبي ضرورة ابعاد مسائل الميتافيزيقيا عن مجال البحث لانها مسائل لاتخضع للتجربة [148] .

اما اخوان الصفا فانهم افترقوا عن الفريقين اذ قالوا ان اوائل المعلومات ومصدرها الحواس كما تقدم فضلا عن ان النفس من مزاياها انها علاّمة بالقوة وتكون علاّمة بالفعل اذا ماحصل فيها صور هوية الاشياء اذ قالوا: «اذا تاملت واردت ياخي ان تعرف ماالعقل الانساني ، فليس هو شيئا سوى النفس الانسانية التي صارت علاّمة بالفعل بعد ماكانت علاّمة بالقوة ، وانما صارت علاّمة بالفعل بعد ما حصل فيها صور هوية الاشياء بطريق الحواس وصور مالقيتها بطريق الفكر والروية »[149] وسبق اذ ذكرنا انهم استدلوا على ذلك بقول افلاطون : العلم تذكر ثم فسروا ذلك بقولهم : « ان النفس علاّمة بالقوة فتحتاج الى التعليم حتى تصير علاّمة بالفعل »[150] اذ انكروا على بعض العقلاء قولهم ان الاشياء التي تعلم بأوائل العقول مركوزة [151] فهي تحتاج الى التذكر ويسمون العلم تذكرا ويحتجون بقول أفلاطون [152].

ب. ماكان سببا لقسم من المعلومات : وهو سائر المعلومات الضرورية الاخرى ، التي تكون كل واحدة منها سببا لطائفة المعلومات [153] .

وهي التي اطلق عليها اخوان الصفا صناعه البرهان وصنفوها الى هندسية ومنطقية [154] .

وقد اعتمدوا في ذلك على المبادئ الرياضية بعد ان قالوا: «وينبغي لمن يطلب حقائق الاشياء ويبحث عن عللها واسبابها ان يبتدئ اولا بمعرفة الاصول والقوانين والاجناس والكليات ثم ينظر في الفروع والانواع والاشخاص »[155]

ذلك ان طرق علم الانسان بالمعلومات من ثلاث طرق هي الحواس والعقل وطريق البرهان؛ «الذي ينفرد به قوم من العلماء من الناس وتكون معرفتهم بها بعد النظر في الرياضيات الهندسية والمنطقية »[156] .

منهج التعليم :

اوضح اخوان الصفا طرق العلوم والمعارف والاستشعار والاحساس بقولهم : «كانت الطرق التي سلكها الفلاسفة منها في التعاليم وطلبهم معرفة حقائق الاشياء اربعة انواع ، وهي التقسيم والتحليل ، والحدود ، والبرهان » [157] .

وقالوا : « بالقسمة تعرف حقيقة الاجناس من الانواع والانواع من الاشخاص » [158] .

وقالوا : «بالتحليل تعرف حقيقة الاشخاص ، اعني كل واحد منها مما ذا هو مركب ، ومن أي الاشياء مؤلف ، والى ماذا ينحل » [159] .

وقالوا : «بالحدود تعرف حقيقة الانواع من أي الاجناس كل واحد منها وبكم فصل يمتاز عن غيره »[160] .

وقالوا : «بالبرهان تعرف حقيقة الاجناس التي هي اعيان كليات معقولات »[161] .

موارد الحاجة الى البرهان :

اوضح اخوان الصفا موارد الحاجة الى البرهان بقولهم : «معرفة الصور المقومة التي هي ذوات اعيان موجودة والفرق بينهما وبين الصور المتممة لها هي كلها صفات لها نعوت واحوال ترادفت عليها ، وهي موصوفة بها ، ولكن الحواس لا تميزها لانها مغمورة تحت هذه الاوصاف مغطاة بها »[162] .

وسبق ان ذكرنا في عناصر الصورة مواضع الحاجة الى الفكر والروية اذ قالوا: «الذي في (الاوائل) شيئان اثنان هويات الاشياء وماهياتها وذلك ان هويات الاشياء تحصل في النفوس بطريق الحواس ، وماهياتها بطريق الفكر والروية والتمييز »[163] .

وقالوا : «اذا حصلت هويات المحسوسات في النفس بطريق الحواس وماهياتها بطريق الفكر والروية والتمييز سميت النفوس عند ذلك عاقلة »[164] .

والسبيل الذي اعتمده اخوان الصفا في معرفة الحقائق هو البرهان ، الذي وصفوه بقولهم البرهان : «ميزان الحكماء، يعرفون به الصدق من الكذب في الاقوال، والصواب من الخطا في الاراء، والحق من الباطل في الاعتقادات، والخير من الشر في الأفعال، كما يعرف جمهور الناس بالموازين والمكاييل والاذرع تقدير الاشياء »[165] ، وقولهم : «العلماء العارفون لصناعة البرهان يعرفون بها حقائق الاشياء اذا اختلف فيها حرز العقول وتخمين الراي »[166] واوضحوا الغاية من البرهان بقولهم : «ان اختلاف العلماء فيما يدعون من الحق والباطل والصواب والخطا الذي في ضمائرهم لا يتبين لنا الا في اقاويلهم من الصدق والكذب ، وان الاقاويل الصادقة والكاذبة لا تعرف الا بميزان »[167] .

المبادئ الرياضية والغاية منها : وضع اخوان الصفا اربع عشرة رسالة رياضية ، قصدهم في ذلك «رياضة انفس المتعلمين للفلسفة ، المؤثرين الحكمة ، الناظرين في حقائق الاشياء الباحثين عن علل الموجودات باسرها »[168] .

ويرون وجوب ان يبدا هذا العلم بعلم العدد لانه مركوز في كل نفس بالقوة اذ قالوا : « انما قدم العلماء النظر في العدد قبل النظر في سائر العلوم الرياضية لان هذا العلم مركوز في كل نفس بالقوة »[169] ويحتاج الانسان فقط الى «التامل بالقوة الفكرية حسب »[170] ومن اهداف واغراض العلوم الرياضية ان ترتاض انفس المتعلمين على وجدان صور المعلومات كلها في جوهرها اذ قالوا : « ان الغرض الاقصى من النظر في العلوم الرياضية انما هو ان ترتاض انفس المتعلمين بان ياخذوا صور المحسوسات من طريق القوى الحساسة وتصورها في ذاتها بالقوة المفكرة حتى اذا غابت المحسوسات عن مشاهدة الحواس لها بقيت تلك الرسوم التي ادتها القوى الحساسة الى القوة المتخيلة الى القوة المفكرة والمفكرة ادت الى القوة الحافظة مصورة في جوهر النفس فاستغنت عند ذلك النفس عن استخدامها القوة الحساسة في ادراك المعلومات عند نظرها الى ذاتها ووجدت صور المعلومات كلها في جوهرها »[171] .

الاستقراء : من المعروف ان الاستدلال الذي يمارسه الفكر البشري ينقسم الى قسمين رئيسين احدهما الاستنباط ، والاخر الاستقراء [172] .

ويقصد بالاستنباط : كل استدلال لا تكبر نتيجة المقدمات التي تكون منها ذلك الاستدلال [173] ويطلق المنطق الارسطي على الطريقة التي ينتجها الدليل الاستنباطي اسم القياس [174] .

الثاني الاستقراء : ويراد به كل استدلال تجيء النتيجة فيه اكبر من المقدمات التي ساهمت في تكون ذلك الاستدلال ، فيقال مثلا : هذه القطعة من الحديد تتمدد

بالحرارة وتلك تتمدد بالحرارة ، وهذه القطعة الثالثة تتمدد بالحرارة ايضا ، اذ كل حديد يتمدد بالحرارة وهذه النتيجة اكبر من المقدمات [175] .

ومن اجل هذا يعد السير الفكري في الدليل الاستقرائي معاكسا للسير في الدليل الاستنباطي اذ يسير الاستقراء من الخاص الى العام ، في حين في الاستنباط يكون السير من العام الى الخاص [176] .

الاستقراء نوعان استقراء تام واستقراء ناقص الاستقراء التام هو الذي يستوعب كل الحالات . الاستقراء الناقص هو الذي لا يستوعب كل الحالات [177] ، وعليه فالنتائج تكون بعيدة عن اليقين او الرجحان .

الاستقراء عند اخوان الصفا : ذكر اخوان الصفا في معرض حديثهم وبيانهم كيف تحصل حقائق هذه المعلومات في انفس العقلاء اذ قالوا: «اعلم يا اخي بان هذه المعلومات التي تسمى اوائل في العقول انما تحصل في نفوس العقلاء باستقراء الامور المحسوسة شيئا بعد شيء وتصفحها جزءا بعد جزء وتاملها شخص بعد شخص ، فاذا وجدوا منها اشخاصا كثيرة تشملها صفة واحدة حصل في نفوسهم بهذا الاعتبار اذ كل ما كان من جنس ذلك الشخص ومن جنس ذلك الجزء هذا حكمه ، وان لم يكونوا يشاهدون جميع اجزاء ذلك الجنس واشخاص ذلك النوع » [178] وقد مثلوا لذلك بقولهم : «ان الصبي اذا ترعرع واستوى واخذ يتامل اشخاص الحيوانات واحدا بعد واحد فيجدها كلها تحس وتتحرك فيعلم عند ذلك ان كل ما كان من جنسها هذا حكمه »[179] وبعد ان اوردوا امثلة اخرى اشاروا الى مراتب العقلاء في الاستقراء اذ قالوا : «ان مراتب العقلاء في مثل هذه الاشياء التي تحصل في النفوس بطريق الحواس متفاوتة في الدرجات وذلك ان كل من كان منهم انعم نظرا واحسن تاملا واجود تفكرا والطف روية واكثر اعتبارا كانت الاشياء التي تعلم ببداءة العقول في نفوسهم اكثر مما في نفوس من يكون طول عمره ساهيا ... »[180] والحق ان في منهج الاستقراء الذي اشار اليه اخوان الصفا هناك خلل في التصديق اذ ان طالب العلم لم يتسن له ملاحقة جميع افراد موضوع الاستقراء وحينها يتم التعميم مع انه استقراء ناقص .

مثال ذلك قولنا ان قطعة الحديد حين تتعرض للحرارة تتمدد وكذلك نلاحظ على قطعة حديد اخرى نفس الموضوع وثالثة كذلك حينها يكون الحكم :

كل قطع الحديد تتمدد بالحرارة ، والحال انه لم يفحص ملايين القطع الاخرى التي عز الوصول اليها . وهنا تظهر الفجوة في الوصول الى حقيقة البقية الباقية من مفردات الاشياء المستقرأة وكيف يمكننا الوصول ولو الى نسب قريبة من الواقع من الحكم الصادق عليها وهذا ما عجز عنه ارسطو حينها وبقيت الاحكام غير موثوق بها الى ان وضع العالم محمد باقر الصدر كتابه (الاسس المنطقية للاستقراء) الذي شرع في وضع نظرية

المذهب الذاتي في نظرية المعرفة اذ اعتمد على نظرية الاحتمال اذ فسر الدليل الاستقرائي على ضوء تلك النظرية قصد بذلك تحويل الاحتمال الاستقرائي الى يقين .

واخيرا نتذكر قولهم : «لما كان الانسان انما هو جملة مجموعة من جسد جسماني ونفس روحانية ، صار يقوي نفسه الروحانية و يدرك المعقولات ، كما ان اعضاء جسده الجسماني تعمل الصنائع »[181] .

فالبحث جال حول معالم الفكر الروحاني لديهم وللباحثين سبيل في دراسة جوانب اخرى من فكرهم من خلال رسائلهم التي وصفها الاستاذ الدكتور عز الدين فودة بقوله : «لا ريب ان رسائل اخوان الصفا هي من اهم وثائق التراث الاسلامي ، اذا لم نقل التراث العالمي »[182] .

الخاتمة :

بعد رحلة في رسائل اخوان الصفا اتضح ان لهم تعريفات موضوعية للعلم والمعرفة فضلاً عن دراسات ذات اهمية في موضوع المصادر الاساسية للمعرفة وطبيعة الادراك كذلك ابان البحث عن طبيعة التصور عند اخوان الصفا ومصدره الاساسي ، وموقفهم من نظرية افلاطون كذلك سعى البحث لتبيان مفهوم العقل عند اخوان الصفا واهم وظائفه .

ثم درس البحث منهج اخوان الصفا في الوصول الى القيمة المثلى للمعرفة واتضح ان الغاية المرجوة من ذلك صعبة المنال الا في حدود مايمكن استقراؤه ومازال الامر كذلك حتى انبرى المفكر الاسلامي محمد باقر الصدر في كتابه الاسس المنطقية للاستقراء اذ وضع منهجاً موضوعياً قادراً على استيعاب مفردات الموضوع المراد استقراؤه للوصول الى قيمة المعرفة المثالية . والبحث لازال يحتاج الى المزيد من الجهد من الباحثين .

الهوامش:

(1) لمعرفة المزيد انظر ، الحيدري ، السيد كمال ، المذهب الذاتي في نظرية المعرفة ، ط2 ، ايران ، قم ، دار فراقد للطباعة والنشر ، 1426هـ – 2005م ، المقدمة .

(2) السبحاني ، الاستاذ الشيخ جعفر ، المدخل الى العلم والفلسفة والالهيات ، نظرية المعرفة ، بقلم الشيخ حسن محمد مكي العاملي ، قم – ايران المركز العلمي للدراسات الاسلامية ، مطبعة القدس ، المقدمة .

(3) المرجع نفسه : المقدمة ، وانظر صليبا ، جميل ، المعجم الفلسفي ، بيروت ، الشركة العالمية للكتاب ، 1414هـ : 1 / 33 .

(4) المعجم الفلسفي : 1 / 33 .

(5) السبحاني ، المقدمة .

(6) هم اشخاص عديدون من مختلف الفئات والطبقات دون تحديد الاسماء ومؤلفو الرسائل ذكر اسماء بعضهم انظر اخوان الصفا ، رسائل اخوان الصفا وخلان الوفا، ط1 ، بيروت ، الدار الاسلامية ، 1412هـ : 5/1.

التوحيد ، ابو حيان (ت: 414هـ) الامتاع والمؤانسة ، ط1 ، بيروت ، المكتبة العصرية ، 1424هـ : 162 – 163 .

البهيقي ، ظهير الدين (ت: 646هـ) تتمة صوان الحكمة .

الشهرزودي ، شمس الدين (ت: في القرن السابع الهجري) نزهة الارواح وروضة الافراح . طهران ، المنشورات العلمية الثقافية ، 1407هـ : 368 .

معصوم ، د. فؤاد ، اخوان الصفا ، فلسفتهم وغايتهم ، ط1 ، سوريا ، دمشق ، دار المدى للثقافة والنشر ، 1998 : 45 .

(7) التهانوي ، محمد علي ، كشاف اصطلاحات الفنون (ت: 1158هـ) والعلوم ، ط1 ، بيروت ، مكتبة لبنان ناشرون ، 1996 : 1 / 25 .

(8) المعجم الفلسفي : 2 / 392 .

(9) الداية ، فايز ، معجم المصطلحات العلمية العربية ، "1 ، دمشق ، دار الفكر ، 1410هـ : 81 .

(10) المعجم الفلسفي : 2 / 392 .

(11) انظر المعجم الفلسفي : 392/2 .

(12) المرجع نفسه : 2 / 99 .

(13) انظر النوره جي ، احمد خورشيد ، مفاهيم في الفلسفة والاجتماع ، ط1 ، بغداد ، وزارة الثقافة والاعلام، دار الشؤون الثقافية العامة ، 1990 : 229 .

(14) انظر المرجع نفسه : الصفحة نفسها .

(15) الجرجاني ، السيد الشريف علي بن محمد (ت: 816هـ) ، كتاب التعريفات ، ط4 ، طهران ، الناشر ناصر خسرو ، 1412هـ : 76 .

(16) التهانوي ،

(17) انظر المصدر نفسه : الصفحة نفسها .

(18) السبحاني : 34 وانظر المرجع نفسه : 17 – 34 . اذ خصص فصلا في تعريف المعرفة .

(19) انظر المرجع نفسه : 34 .

(20) رسائل : 1 / 399 .

(21) رسائل : 1 / 411 .

(22) المعجم الفلسفي : 2 / 99 .

(23) المعجم الفلسفي : 2 / 99 .

(24) المصدر نفسه : 2 / 99 .

(25) المصدر نفسه : 2 / 99 .

(26) المعجم الفلسفي : 2 / 392 .

(27) انظر رسائل : 1 / 30 ، 3 / 81 ، 3 / 349 ، 3 / 482 ، 4 / 186 ، 4 / 352 .

(28) انظر رسائل : 3 / 233 ، 516 وفي ذلك اشارة الى انه غير معلم اذ الغريزة : (مصطلح وصفي يطلق على استجابة تكيفية معقدة وغير متعلمة) .

مفاهيم في الفلسفة والاجتماع : 191 .

(29) المعجم الفلسفي : 2 / 99 .

(30) ابن منظور ، محمد بن مكرم الافريقي ، لسان العرب ، ط1 ، بيروت ، دار صادر : مادة درك .

(31) ابن سينا ، الشيخ الرئيس ، الإشارات والتنبيهات ، قم ، نشر البلاغة ، 1417هـ : 82 .

(32) التعريفات : 4 .

(33) المصدر نفسه : 5 .

(34) المصدر نفسه : 26 .

(35) المصدر نفسه : 67 .

(36) المصدر نفسه : 97 .

(37) كشاف : 1 / 111 .

(38) انظر معجم المصطلحات العلمية والعربية .

(39) رسائل اخوان الصفا : 1 / 30 .

(40) المصدر نفسه : 2 / 403 .

(41) المصدر نفسه : 4 / 6 .

(42) المصدر نفسه : 4 / 6 .

(43) انظر المصدر نفسه : 4 / 7 .

(44) التعريفات : 26 .

(45) المعجم الفلسفي : 1 / 281 .

(46) التعريفات : 26 .

(47) معجم المصطلحات العلمية والعربية : 101 .

(48) مفاهيم في الفلسفة : 84 .

(49) الصدر ، محمد باقر فلسفتنا ، ط3 ، مطبعة الامير ، دار الكتاب الاسلامي ، 1425 – 2004م : 53 – 54 .

وانظر اميرة حلمي مطر ، الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها ، القاهرة ، دار النصوص للنشر والتوزيع : 182 .

وانظر ماجد فخري ، تاريخ الفلسفة اليونانية من طاليس الى افلاطون وبرقلس ، ط1 ،بيروت ، دار العلم للملايين ، 1991 : 88 .

وانظر رسل ، برتراند ، تاريخ الفلسفة الغربية ، ترجمة: زكي نجيب محمود ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 2010 : 206 .

(50) رسائل : 3 / 424 .

(51) المصدر نفسه : 3 / 424 .

(52) المصدر نفسه : 2/ 425 .

(53) المصدر نفسه : 2 / 425 .

(54) رسائل : 1 / 77 ، وانظر ايضا 2 / 396 – 397 ، وانظر ايضا 232/3 اذ فصلوا القول في بيان الطرق الثلاثة .

(55) رسائل : 3 / 232 – 233 .

(56) المصدر نفسه : 1 / 277 .

(57) المصدر نفسه : 1 / 277 .

(58) المصدر نفسه : 1 / 294 .

(59) المصدر نفسه : 1 / 294 .

(60) المصدر نفسه : 1 / 432 .

(61) الرسائل : 1 / 437 .

(62) المصدر نفسه : 1 / 437 .

(63) المصدر نفسه : 1 / 437 .

(64) المصدر نفسه : 2 / 12 .

(65) الرسائل : 1 / 30 .

(66) المصدر نفسه : 1 / 30 .

(67) المصدر نفسه : 1 / 10 .

(68) المصدر نفسه : 3 / 231 .

(69) عبد المهيمن ، احمد ، نظرية المعرفة بين ابن رشد وابن عربي ، ط1 ، الاسكندرية ، دار الوفاء لدنيا للطباعة والنشر ، 2001 : 12 .

(70) : 66

(71) انظر الصدر ، محمد باقر ، الاسس المنطقية للاستقراء ، بيروت ، العارف للمطبوعات ، 1428هـ- 2008م : 396 .

(72) انظر المرجع نفسه : 396 .

(73) راجع ، حربي عباس عطيتو وموزة محمد عبيدان ، مدخل الى الفلسفة ومشكلاتها ، بيروت ، دار النهضة العربية ، 2003 : 164 .

(74) انظر ايمانويل كانط ، نقد العقل المحض ، ترجمة موسى وهبة : 45 .

(75) فلسفتنا : 54 – 55 .

وانظر رينيه ديكارت ، تاملات في الفلسفة الاولى ، ط1 ، ترجمة عثمان امين ، القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، 1969 : 73 .

ولمعرفة المزيد عن فلسفة ديكارت ومنهجه انظر كرم ، تاريخ الفلسفة الحديثة ، ط5 ، القاهرة ، دار المعارف : 62 – 73 .

(76) انظر فلسفتنا : 55 .

(77) سورة النحلة : اية 78

(78) انظر اخوان الصفا : 3 / 424 .

(79) رسائل : 3 / 237 .

(80) رسائل : 437/1 – 438 .

(81) المصدر نفسه : 3 / 466 . وانظر المصدر نفسه : 3 / 19 ، 3 / 203 .

(82) المصدر نفسه : 3 / 467 .

(83) المصدر نفسه : 3 / 425 .

(84) المصدر نفسه : 3 / 232 .

(85) المصدر نفسه : 3 / 386 .

(86) رسائل : 3/ 425 .

(87) المصدر نفسه : 3 / 424 .

(88) المصدر نفسه : 3 / 232 .

(89) رسائل : 2 / 15 .

(90) المصدر نفسه : 3 / 385 .

(91) المصدر نفسه : 1 / 420 .

(92) المصدر نفسه : 3 / 246 .

(93) الرسائل : 2 / 382 .

(94) المصدر نفسه : 2 / 416 .

(95) أبو ريان، محمد علي، تاريخ الفكر الفلسفي، الفلسفة الحديثة، ج4، دار المعرفية الجامعية، 1996: 282.

(96) انظر فلسفتنا : 55 .

(97) انظر المرجع نفسه : 57 .

(98) فلسفتنا : 59 .

(99) المرجع نفسه : الصفحة نفسها .

(100) المرجع نفسه : 59 .

(101) المرجع نفسه : 60 .

(102) انظر الرسائل : 2 / 396 – 397 .

(103) انظر المصدر نفسه : 3 / 477 .

(104) انظر المصدر نفسه : 1 / 137 .

(105) انظر الرسائل : 1 / 154 .

(106) انظر المصدر نفسه : 1 / 277 .

(107) انظر المصدر نفسه 396/2 .

(108) انظر المصدر نفسه : 2 / 396 .
(109) انظر المصدر نفسه : 2 / 401 .
(110) انظر المصدر نفسه : 2 / 401 .
(111) انظر المصدر نفسه : 2 / 401 .
(112) انظر المصدر نفسه : 2 / 385 ، 2 / 387 .
(113) انظر المصدر نفسه : 1 / 449 .
(114) معصوم : 196 .
(115) انظر رسائل : 2 /411 .
(116) انظر المصدر نفسه : 2 /411 .
(117) معصوم : 196 .
(118) رسائل : 3 / 397 .
(119) معصوم : 197 .
(120) انظر السبحاني : 91 .
(121) صدر المتالهين ، الحكمة المتعالية في الاسفار العقلية الاربعة ، ط3 ، بيروت ، دار احياء التراث ، 1981م : 3 / 381 – 382 .
(122) ايمانويل كانط : نقد العقل المحض : 60 .
(123) قصة الفلسفة : 441 .
(124) مدخل الى الفلسفة : 191 .
(125) انظر رسائل : 1/ 30 .
(126) رسائل : 1 / 433 – 434 .
(127) المصدر نفسه : 1 / 434 .
(128) ابراهيم مصطفى ، الفلسفة الحديثة من ديكارت الى هيوم بشان تصنيف الافكار : 263 – 264 .
([129]) انظر: فلسفتنا : 62 .
(130) انظر اخوان الصفا : 1/ 437 .
(131) رسائل : 3/ 19 .
(132) انظر المصدر نفسه : 3/ 424 .
(133) انظر المصدر نفسه : 3/ 424 .
(134)انظر المصدر نفسه : 3/ 424 .
(135)انظر المصدر نفسه : 3/ 425.
(136)انظر المصدر نفسه : 3/ 425
(137)انظر الرسائل : 3/ 437.
(138)انظر المصدر نفسه : 3/ 437.

(139)انظر المصدر نفسه : 3/ 460

(140) المصدر نفسه : 1/ 426 .

(141) انظر المصدر نفسه : 1/ 426 .

(142) انظر الرسائل : 1/ 426 .

(143) انظر المصدر نفسه : 1/ 426 .

(144) المصدر نفسه : 1/ 365 .

(145) المصدر نفسه : 1/ 365 .

(146) المصدر نفسه : 1/ 365 .

(147) كمال الحيدري : 27 .

(148) كمال الحيدري : 32 .

(149) رسائل : 1/ 437 –438 .

(150) المصدر نفسه : 3/ 424 .

(151) المصدر نفسه : 3/ 424 .

(152) انظر المصدر نفسه : 3/ 424 .

(153) كمال الحيدري : 32 .

(154) رسائل : 1/ 444 .

(155) المصدر نفسه : 3/ 346 .

(156) انظر: المصدر نفسه : 2/ 396 –397 .

(157) المصدر نفسه : 1 / 429 .

(158) المصدر نفسه : 1 / 429 – 430 .

(159) المصدر نفسه : 1 / 430 .

(160) رسائل : 1 / 430 .

(161) المصدر نفسه : 1 / 430 .

(162) المصدر نفسه : 1 / 432 .

(163) المصدر نفسه : 1 / 437 .

(164) المصدر نفسه : 1 / 437 .

(165) رسائل : 1 / 268 .

(166) المصدر نفسه : 1 268 .

(167) المصدر نفسه : 1 / 425 .

(168) المصدر نفسه : 1 / 21 وانظر 1 / 48 .

(169) المصدر نفسه: 1 / 75 .

(170) المصدر نفسه: 1 / 75 .

(171) رسائل : 1 / 103 – 104 .

(172) انظر المصدر ، محمد باقر ، الاسس المنطقية للاستقراء : 33.
(173) انظر المرجع نفسه : 6 .
(174) انظر رسائل : 1 / 422 .
(175) انظر الاسس المنطقية للاستقراء : 6 .
(176) المرجع نفسه : 6 وانظر الحيدري : 33 ، ولمعرفة المزيد انظر ، كرم ، يوسف ، تاريخ الفلسفة اليونانية ، لجنة التاليف والترجمة والنشر ، السلسلة الفلسفية : 157 – 158 .
(177) الحيدري : 37 – 38 .
(178) رسائل : 1 / 439 .
(179) المصدر نفسه : 1 / 439 .
(180) رسائل : 1 / 439 .
(181) رسائل : 3 / 404 .
(182) حجاب ، د. محمد فريد ، الفلسفة السياسية لاخوان الصفا ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1982 ، المقدمة .

جريدة المصادر والمراجع :

1- ابراهيم مصطفى ابراهيم ، الفلسفة الحديثة من ديكارت الى هيوم . مفهوم العقل في الفكر الفلسفي، بيروت ، دار النهضة للطباعة والنشر ، 1993م.
2- اخوان الصفا ، رسائل اخوان الصفا وخلان الوفا ، ط1 ، بيروت ، الدار الاسلامية، 1412هـ .
3- اميرة، حلمي مطر ، الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها ، القاهرة ، دار النصوص للنشر والتوزيع .
4- ابن سينا ، الشيخ الرئيس ، الاشارات والتنبيهات ، قم ، نشر البلاغ ، 1417هـ .
5- ابن منظور ، محمد بن مكرم الافريقي ، لسان العرب ، ط1 ، بيروت ، دار صادر.

6- ابـو ريـان ، محمـد علـي ، تـاريخ الفكـر الفلسـفي ، ج4 ، دار المعرفـة الجامعيـة ، 1996م .
7- البيهقي ، ابو الفضل ظهير الدين علي بن زيد (ت: 565هـ) ، ط2 ، تتمة صوان الحكمة ، دمشق ، المجمع العلمي العربي ، 1976م .
8- الجرجاني ، السيد الشريف علي بن محمد (ت:816هـ) ، كتاب التعريفات ، ط4 ، طهران ، الناشر ناصر خسرو ، 1412هـ .
9- حجاب ، د. محمد فريد ، الفلسفة السياسية لاخوان الصفا ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1982م .
10- حربـي عبـاس عطيتـو ، ومـوزة محمـد عبيـدان ، مـدخل الـى الفلسـفة ومشـكلاتها ، بيروت ، دار النهضة العربية ، 2003م .
11- الحيدري ، السيد كمال ، المذهب الذاتي في نظرية المعرفة ، ط2 ، قم ، ايران ، دار فراقد للطباعة والنشر ، 1426هـ - 2005م .
12- الداية ، فايز ، معجم المصطلحات العلمية العربية ، ط1 ، دمشق ، دار الفكر ، 1400هـ .
13- ديكارت رينيه ، تاملات في الفلسفة الاولى ، ط1 ، ترجمة عثمان امين ، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية ، 1969م .
14- رسل ، براتراند ، تاريخ الفلسفة الغربية ، ترجمة الدكتور زكي نجيب محمود ، مراجعة احمد امين ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب .
15- السبحاني ، الاستاذ جعفر ، المدخل الى العلم والفلسفة والالهيات ، نظرية المعرفة، بقلم الشيخ حسن محمد مكي العاملي ، قم ، ايران ، المركز العلمي للدراسات الاسلامية ، مطبعة القدس .
16- الشهرزوري ، شمس الدين (ت: في القرن السابع الهجري) ، نزهة الارواح وروضة الافراح ، طهران ، المنشورات العلمية الثقافية ، 1417هـ .
17- صدر المتالهين ، الحكمة المتعالية في الاسفار العقلية الاربعة ، ط3 ، بيروت ، دار احياء التراث ، 1981م .
18- الصدر ، محمد باقر ، الاسس المنطقية للاستقراء ، بيروت ، العارف للمطبوعات، 1428هـ - 2008م .
19- فلسفتنا ، ط3 ، مطبعة الامير ، دار الكتاب الاسلامي ، 1425هـ -
20- صليبا ، جميل ، المعجم الفلسفي ، بيروت ، الشركة العالمية للكتاب ، 1414هـ.

21- عبد المهيمن ، احمد ، نظرية المعرفة بين ابن رشد وابن عربي ، ط1 ، الاسكندرية ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، 2001م .
22- فخري، ماجد ، تاريخ الفلسفة اليونانية من طالبس الى افلاطون وبرقلس، دار العلم للملايين ، ط1 ، بيروت ، 1991م .
23- كانط ، ايمانويل ، نقد العقل المحض ، ترجمة موسى وهبة .
24- كرم ، يوسف ، تاريخ الفلسفة اليونانية ، السلسلة الفلسفية ، لجنة التاليف والترجمة والنشر ، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ، 1936م .
- تاريخ الفلسفة الحديثة ، ط5 ، القاهرة ، دار المعارف .
25- معصوم ، د. فؤاد ، اخوان الصفا ، فلسفتهم وغايتهم ، ط1 ، دمشق ، سوريا ، دار المدى للثقافة والنشر ، 1998م .
26- النوره جي ، احمد خورشيد ، مفاهيم في الفلسفة والاجتماع ، ط1 ، بغداد ، وزارة الثقافة والاعلام ، دار الشؤون الثقافية ، افاق عربية ، 1990م .

Theory of Knowledge according to Safa brothers

There are some questions that raise intellectual movement among both classical and modern philosophers. That is how the knowledge of the man is originated? And how his mental life is formed with all it's richness in ideas and concepts? What is the source that supplies the man with this stream of thinking and perception?

and in order to study the subject of Safa Brothers' Messages, the owners of the tenth century encyclopedia, this research has resulted Which dealt with the basic knowledge sources of the Safa Brothers. As well as the study of perception and its components, the extraction theory, and finally the study of knowledge value according to them.

In this way the research was able to clarify knowledge theory according to them as well as thoughts and opinions in the subject that a light can be shed upon them by the pens of the researchers to enrich the human intellectual heritage.